زمن الهجرات القصيرة

قصص للثورة الفلسطينيّة المنتصرة

عنوان الكتاب : زمن الهجرات القصيرة

قصص : وليد إخلاصي

اختيار: مالك صقور

تقديم : فلك حصرية

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/157/ آب

الناشر : اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني:mawkif@tutanota.com

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu.sy

وليد إخلاصي

زمن الهجرات القصيرة

قصص للثورة الفلسطينيّة المنتصرة

اختيار: مالك صقور

تقديم: فلك حصرية

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (157)

إهداء

إلى أحبتنا رجال فتح
ومقاتلي العاصفة وكل من يفكر
بالموت من أجل القضيّة

زمن الهجرات القصيرة للأديب
وليد اخلاصي

تقديم: فلك حصرية

أي ريح طيبة أثارت في أنفسنا موجة من العطر المحمَّل بزخم نبض كفاحي نضالي مقاوم إلى مالاحدود، قوي حتى بلا نقاط أو ضوابط ينحصر عندها، وتقاطعه في انحداره؟!

وأي انهمار ينسكب على القلوب التي منذ زمن مالت فيها الأحاسيس نحو الرتابة والسكينة بعدما عجنها غليان نبضي مقاوم يحرق الأخضر واليابس مؤكداً "عائدون" لتهدأ ثورة الغضب، وتخبو جذوة النضال...

عائدون.. وفي أرواحنا غصة القهر، وسير البعض نحو استرضاء من سرق فلسطيننا، ويتّم أمهاتنا، وشتت أولادنا واقتلع أشجار الزيتون، وبيارات البرتقال، وجسور العودة وأجراس الموعد، موعد اللقاء والالتحام مع أرض هي منذ فجر

التـاريخ تجمـع أحلامنـا، وتهـدد قصـائدنا، وتـردد صـدى أشواقنا، ولواعج افئدة ما تزال تصدح:

... سنرجع يوماً إلى حيِّنا

ونغرق في دافئات المنى

سنرجع... مهما يمر الزَّمان

وتنأى المسافات ما بيننا

فيا قلب مهلاً، ولا ترتمي

على درب عودتنا موهنا

ما تزال الحناجر ـ رغم كآبة ما يمر به الزمن ـ تردد بنشوة وحماس وأمل هذه الكلمات للشاعر الفلسطيني "هارون هاشم رشيد" يا لزمن كان فيه مجرد التفكير بتجاوز ولو بعض من الألم لمن سببه يعدُّ كفراً لا غفران له ولا مغفرة، وكيف يمكن المهادنة وقد علمنا التاريخ أن العدو محال أن ينقلب صديقاً، وأن القاتل لا يمكن أن يكون إلا مقتولاً، وأن العين بالعين، والسن بالسن في زمن الزخم القومي، والعربي، زمن اليقين الفلسطيني، والشهداء والعطاء بلا حدود، كانت هذه المجموعة القصصية لأديبنا الكبير وليد اخلاصي "زمن

الهجرات القصيرة" وقد خط تحت عنوانها بيقين وحضور وطني قومي "قصص الثورة الفلسطينية المنتصرة" قصص كتبها الكبير بدم الوجدان، ونبض اليقين، وحقيقة نور ساطع قوى، مبشر بالخلاص من سلاسل السجون، وهدم المنازل، وتهجير الشعب العرب الفلسطيني، وتقطيع أوصال قدس العرب، واغتصاب أجزاء من جسدها، واقتلاع تاريخ وشعب وقصص وبيارات ودروب طفولة، وحكايات عشق، وأغاني وطن سقطت حرمته وهدرت كرامته، ومزّقت مقدساته، ودنّست معتقداته...

وطن أراد أديبنا أن يحفر بحدّ مديته قصصاً خالدة بطلها عربي فلسطيني متوج الجبهة بإهداء منه "إلى أحبتنا رجال فتح، ومقاتلي العاصفة، وكل من يفكر بالموت من أجل القضية" بهذه الصرخة القوية المزلزلة تدوي في أركان الأرض زلازل وبراكين هي مع الجريحة ضد المعتدي القاتل، مع الحق ضد الباطل مع الكفاح ضد الاستسلام مع المواجهة بكل أنواعها وأشكالها، وأطيافها وفروعها، ولطالما كانت الكلمة بأشكالها كافة: المكتوبة والمسموعة والمقروءة وبأنواعها مجتمعة في الأدب: شعراً كانت أم سرداً روائياً

وقصصياً أم دراسات وتحاليل ومسرحاً و... و... فجميعها تشكل السلاح الذي يشكل القوة القاتلة الضاربة في وجه فتك الأسلحة وفعلها الإجرامي... التدميري... نعم هي قوة ناعمة ولكنها في النهاية أشد فتكاً وأقوى أثراً وتأثيراً، وقديماً قالها نابليون بونابرت:

"إنني أوجس خيفة من ثلاث صحف أكثر من مئة ألف مقاتل "وفي هذا ما فيه من الشكر والامتنان لكل من سخر قلمه وفكره ووجدانه وريشته، وأدبه وشعره منارة نصرة لحق، وتوثيق لقضية وتأريخ لأرض. ومن هنا فلا يمكننا إلا أن نعود ثانية وثالثة ورابعة وعاشرة لزمن انبرى فيه عمالقة وطنيون، وأدباء باسقون ومنهم الكبير وليد اخلاصي، مدافعين عن قضية العرب الأولى، قضية فلسطين ومشيدين بالبطولة والأبطال، والعطاء والجود بأرفع وأسمى عطاء الجود والكرم، عطاء الروح والدم، وهل بعده عطاء؟ وقبل أن نمضي في الحديث بهذا الشأن لابد من وقفة نتعرف فيها على هذه الشخصية الأدبية الباسقة، ونتعرف إبداعاتها، وندعو لها أولاً وأخيراً بطول العمر، واستمرار مسيرة العطاء، مسيرة زاخرة بفسيفساء تلونه الحياة، ويزركشه إبداع لا حدود له.

ولد الأديب الروائي والقصصي والمسرحي المبدع وليد اخلاصي في مدينة الاسكندرونة "27 أيار في العام 1935 وسط بيئة أدبية وفنية عريقة، فكان والده الأزهري "أحمد عون الله اخلاصي" رئيساً لتحرير مجلة "الاعتصام" التي صدرت بحلب في العشرينات من القرن الماضي.

درس الابتدائية في مدرسة /الحمدانية/ والثانوية في /التجهيز الأولى في حلب، أما دراسته الجامعية فكانت في /الاسكندرية/ كلية الزراعة /1954 ــ 1958/ وعمل في مديرية اقتصاد /حلب/ ثم محاضراً بكلية /الزراعة/ في جامعة حلب، وترأس فرع نقابة المهندسين الزراعيين، وفرع اتحاد الكتاب العرب بحلب، كما ساهم في تأسيس مسرح /الشعب ـ والمسرح القومي ـ والنادي السينمائي/ بحلب. وهو عضو سابق في هيئة تحرير مجلة /الموقف الأدبي/.

شغف أديبنا الكبير ـ أطال الله في عمره ـ بأنواع أدبية عديدة فكتب: القصة القصيرة ـ الرواية ـ المسرحية ـ الدراسة ـ المقال ـ الزاوية الصحفية ـ والشعر على قلة.

من أعماله القصصية: دماء في الصبح الأغبر ـ الطين وزمن الشجرات الصغيرة ـ التقرير وموت الحلزون ـ الأعشاب السوداء ـ ما حدث لعنترة وغيرها.

المسرحية: له مسرحيات كثيرة منها: العالم من قبل ومن بعد ـ الصراط وسبعة أصوات خشنة ـ ديمقراطية ـ هذا النهر المجنون ـ من قتل العصافير، وغيرها..

من أعماله الروائية: شتاء البحر اليابس ـ أحضان السيدة الجميلة ـ أحزان الرماد ـ زهرة الصندل ـ بيت الخلد ـ حكايات الهدهد ـ باب الجمر وغيرها.

نال جائزة اتحاد الكتاب العرب التقديرية في دمشق لعام 1990، كما حصل على جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية، وجائزة الرواية والمسرحية عام 1996. هذا وتبقى الأعمال السردية والدرامية للمبدع وليد اخلاصي تتنوع وتتسع لمختلف الأنواع والأنماط، وهو في كل منها ينطلق من تجربة متجددة، وملتحمة بهموم الإنسان العربي، تجربة تجمع بين الواقعية والغرائبية وبين اليومي والتاريخي، ليقدّم كل ذلك بصورة إبداعية منفتحة ومتجددة باضطراد، مما يؤكد ـ وباستمرار ـ على كونه من الكتاب الأوائل والقلائل الذين أبدعوا في أكثر من مجال، والذين امتازوا بالاستمرارية، وحافظوا على العطاء منذ بداية انطلاقته الأدبية في ستينيات القرن الماضي حتى يومنا هذا. متناولاً في أدبه العديد من

الهواجس والمواضيع التي تعد مرآة تعكس حال المجتمع السوري في بعض الحقبات: كالفقر والتفاوت الطبقي كذلك انتقد العديد من العادات والممارسات السلبية في المجتمع: كالفساد الإداري والرشوة، إضافة إلى موضوعات مهمة أخرى بخاصة القضية الفلسطينية والاحتلال الفرنسي لسورية، وما بين أيدينا من قصص مؤلفة /زمن الهجرات القصيرة/ لأكبر دليل على تأثره بقضية فلسطين كونها الشغل الشاغل للإنسان العربي الحقيقي والقومي.

والواقع أن هذه المجموعة القصصية والتي تضم ست عشرة قصة قصيرة /الحرية ـ قصة فلسطينية ـ الموت مرتين ـ الخرافة ـ المستحيل السعادة ـ الأسطورة ـ الخنساء الجديدة ـ الاختبار ـ الغيرة ـ التأبين ـ زمن الهجرات القصيرة ـ الذي يموت والذي لا ـ قصة الرجل الذي أحب الثورة ـ الخروج ـ كونشرتو/

إنما تتدفق حرارة ثورة تتأجج ضد العدو المحتل، وتتبعث شظايا قوة وتحدٍ، وعزم وتصميم، وإرادة لا تلين، وعزيمة لا تضعف ولا تتراجع، عن قرار المقاومة المستمرة، للإنسان الفدائي الذي يقول عنه أديبنا الكبير:

"لقد أصيب الفدائيون بحمى الاستشهاد، أفلا تصيبنا حمى التحرر؟! الثوار والفدائيون مدعوون في كل لحظة للموت والكتاب والفنانون مدعوون للعمل من أجل صيغ جديدة لثورة منتصرة".

ثورة ليست وهماً كما حاولوا تصويرها وتوظيفها ضد الوطن والإنسان ثورة هي الحقيقة الوحيدة لتحرير أرض اغتصبت، وحقوق سُرقت، وكرامة هُدرت، وحرمات استبيحت...

فأين أنتم منها أيها المطبعون المارقون الذليلون، ألم يحن موعد التحلل من آثام الخيانات وأذلال النفوس وخنوع المذلة والمهانة... ويبقى للتاريخ الحسم، وللحق القاطع البتَّار.

المقدمة

الآن تجسدت القضية بوضوح، وبرهان الصدق هنا هو الموت. الناس يموتون الآن، وحتى هذه اللحظات يدفعون حياتهم فوائد لدين سابق هو اليأس والتخاذل. وبعد أن يموت العدد الأكبر يدفع الدين نفسه، وعندما يتم دفع الدين بكامله تكون القضية قد نضجت واستوت في مكانها التاريخي.

تلك هي فلسطين ببساطة:

اليأس والهروب والتواكل

موت هنا وهناك دونما خطة

ثم حرب الخامس من حزيران المذهلة

ثم صحوة قاسية، وفداء لا حدود له، ثم الموت ومزيد من الموت ومزيد من الموت. الموت الموت هو الطهر وهو البدء، ففي البدء كان اليأس، والآن لا يأس. الآن لا يأس، وغداً لا يأس، وبعد غد لا يأس. تلك هي القضية.

الفدائي يفدي بروحه قضيته وأرواح الآخرين، وهو في الحقيقة ليس بطلاً وليس أسطورة، لأنه لا يعمل سوى ضمن إمكانياته، وإمكانياته حتى الآن هي حياته، وحياته هي التي يقدمها وقد علم بصورة مبدئية أنه لا يفقد غيرها. ليست رخيصة حياته ولكنها واجبة الانتهاء لكي تنتصر القضية.

الثورة اشتعلت ولكن دونما ضجيج، والثورة الفلسطينية الحديثة تأخرت عن موعدها وهي ثورة مسكينة في بدايتها، والفكر لم يسبقها أو يمهد لها، ورحم الثورة قد تيبس واصبحت الولادة ميؤوساً منها إلا من مجهودات مبعثرة. وصدر صك الإعدام على الشعب الفلسطيني من مكاتب المؤسسات الدولية ودواوين بعض الحكام الخونة باستهتار لا يوصف.

وفي ليلة الخامس من حزيران الذي بات معروفاً بلا تاريخ كان النوم والاستسلام، وكانت الهزيمة تتمخض حتى ولدت يأساً لا حدود له.

الثورة اشتعلت، وتجدد الرحم فبات فتياً، والرجل أصبح رجلين، والثلاثة عشرة، كأنما التكاثر لا يخضع لقانون. الآلاف الآن وقد وقعوا صك النصر حتى الموت يموتون فعلاً،

وما دامت القضية قد أصبحت هكذا فالثورة إلى النصر تسير لا محالة.

الثورة اشتعلت والفدائيون وجود لا ينكر، وجود يكبر ويكبر، والفكر الإنساني، العربي ماذا يفعل؟ ماذا تفعل أيها الفكر؟! الشعر ماذا يفعل؟ والقصة والفن والمسرح؟! ماذا نفعل. لتجف الأقلام التي لا تمجد موت الثوار، ولتتعطل العقول التي لا تفكر من أجل الثوار. الذين يموتون الآن إنذار لنا بأننا قد نموت أيضاً، ولكن ميتة الحشرات تحت الأقدام.

والذين لا يفعلون شيئاً من أجل الثورة برهان على أن النصر قد اكتمل فعلاً للأعداء. والذين سيفعلون دليل على يقظة العقل في سبيل الثورة والخلاص.

الدعوة مفتوحة الآن، وصدرها رحب كالبحار. كل كاتب وفنان مدعو لإيجاد عمل من أجل الثورة الفلسطينية، الكل مدعو لتشكيل واجهة حضارية لعمل أولئك الذين يموتون دونما حساب.

خجلاً من الماضي نحن مدعوون، تمجيداً للحاضر نحن مدعوون، تعلقاً بالمستقبل نحن مدعوون.

شعارنا الآن: صيغ جديدة لثورة منتصرة. ولتنتقل أعمال الأدباء والفنانين من بيت لبيت، ومن أرض لأرض، ومن لغة إلى لغة.

ولننفض عن عقولنا أساليب الجمود والتعثر، ولنخجل من كل الساعات التي مرت في حياتنا دونما عمل من أجل الثورة، وليفخر إخوتنا الثوار الذين يعملون بجدية لا مثيل لها على تحرير الأرض بالدماء التي تتفجر بإخلاص. فبين الخجل والفخر الحقيقي ليدير ظهره إلى الأولى وليستقبل الثانية بفرح لا حدود له.

لقد أصيب الفدائيون بحمى الاستشهاد، أفلا يصيبنا حمى التحرر؟. الثوار والفدائيون مدعوون في كل لحظة للموت، والكتاب والفنانون مدعوون للعمل من أجل صيغ جديدة لثورة منتصرة.

الحريـة

كنا نجلس، فئة من المحدثين اللبقين، في المقهى الكبير المطل على الشارع الرئيس للمدينة الآمنة. وكنا نحتل جزءاً من الواجهة الغربية ونسمات رقيقة تشيع الرغبة في النوم، رغم أن الحديث الممتع كان يدور حول كل شيء.

حدثت بعد قليل ضجة في الخارج أعقبها في المقهى هرج واضطراب لم يؤلفا من قبل. وجعل الرواد، الذين يشكلون عادة مجتمعاً متناثراً، بالتململ وتفحص الأحداث التي بدأت تتجمع في المكان مع مرور الزمن، وكان صاحب المقهى يوعز إلى خدمه أن يسرعوا بإنجاز أعمالهم فيما هم ينزلون الأبواب الحديدية الخارجية للمقهى، والتي بدت لأول مرة غريبة عن كل أبواب الأماكن العامة المماثلة. ورأينا بعد قليل صاحب المقهى ورجاله يهرولون عند نهاية الشارع ثم يغيبون عن الأنظار التي ما زالت نصف مقفلة.

قال أحد المحدثين اللبقين:

ـ لأول مرة في حياتي أرى أبواباً من القضبان الحديدية!

ضحك آخر وهتف ببطء:

ـ يشبه الأقفاص في حديقة الحيوان..

كان الشارع قد خلا تماماً من السيارات والباعة المتجولين، وحتى المارة لم نعد نعثر لهم على أثر. تساءلت بحذر:

ـ إلى متى سنبقى هنا؟

ـ الله أعلم.

وقمت أتفحص القضبان فبدت لي متينة لا تتحرك من مكانها رغم اختباري لها بذراعي. نظرت إلى ساعة يدي وصحت:

ـ لقد وقعنا في الفخ.

ـ أي فخ؟

ـ لن نستطيع أن نخرج من هنا.

هتف رجل من ركن المقهى القصي:

ـ نخرج أو لا نخرج. وما المهم؟!

وصاح آخر وكأنه يموء:

ـ عندي موعد.

وكأن الجميع تذكروا في تلك اللحظة أنهم يرتبطون بموعد أو أنهم يجب أن يخرجوا من المقهى مهما كانت الأحوال. بعد قليل حضر الجميع من موائدهم المتفرقة وتجمعنا حول مائدة واحدة، وجعلنا نتدارس الموقف الطارئ بدقة. وأجمعنا في نهاية الحديث الجدي الذي لم يطل على ضرورة الخروج من هذا المأزق بطريقة ما، لأن البقاء هكذا دون عمل ولا حراك لا يعني شيئاً على الإطلاق.

قصة فلسطينية

- 1 -

قال الطفل محمد لأبيه الذي جلس تحت ظل شجرة يابسة في مضافة اللاجئين:

- أبي! متى نعود إلى بيتنا؟

وانطلق صوت فيروز يغني "سنرجع يوماً إلى حينا" فاغرورقت عينا الأب بالدموع، واستوى واقفاً ليصطحب ابنه إلى كشك وكالة الغوث ليتسلموا حصتهم من الطعام، فلم يأت دورهم طيلة ذلك اليوم.

- 2 -

مات الأب بالسل. لم تعزف للميت موسيقى. سقطت بطاقته فخسرت العائلة حصته من وكالة الغوث، فحقدت الأم على الحياة وكل الأوضاع، كذلك فعل الصغير محمد.

ـ 3 ـ

كبر محمد وتزوج، وسمى ابنه باسم والده. وعلى الحدود الواسعة وقف الصغير أحمد يسأل أباه:

ـ أبي! متى أستطيع أن أقاتل مثلك؟

وما أن فرغ الأب من تجهيز بندقيته حتى انطلقت منه ضحكة عريضة وقال:

ـ أمامك وقت أيها الصغير.

وعندما ألح الصغير أحمد على أبيه، قال الأب برقة:

ـ عندما تبلغ الرابعة عشرة.

فتأفف الصغير أحمد وقذف بقدمه حجرة طارت في الهواء، وهتف بحرقة:

ـ ومتى أبلغ الرابعة عشرة يا إلهي؟!

الموت مرتين

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار عند تأمل مسألة ثورة أولئك الرجال، عدد الفتيان والأطفال والنساء الكبير في عملية الثورة والمتزايد يوماً بعد يوم. فالرجال ماتوا منذ عشرين سنة أو أنهم شاخوا أو دفنوا رؤوسهم في الأراضي الرطبة والجافة خجلاً فما عادوا فعالين أبداً.

ومع أن هذه الحقيقة كانت قد انتشرت بين الناس كلهم، في الجبال والوديان وفي الأزقة وداخل البيوت، فإن الفتى أحمد بن سعيد غزالة قال بصوت خجول فيما يتسلم خنجره وبندقيته من مركز للفدائيين:

ـ هل أستطيع الموت مرتين؟

فتعجب الرجال، وقال رئيسهم:

ـ ولم المرتين يا بني؟

تمتم الفتى ورأسه مطرق إلى الأرض:

ـ المرة الثانية عن أبي..

وتساءل رجل بدهشة:

ـ ولكن سعيد غزالة مات منذ سنين:

وكان الفتى ما زال يشعر بالخجل حين قال:

ـ أعلم أنه مات. في "المضافة" مات يا سيدي.

وانطلق الفتى خارج الكهف مثقلاً بالأسلحة.

الخرافة

انتشرت عبر الكون المتمدن قصة العسكري الأعور كأسطورة تشبه حكاية الاسكندر. وفي الطرف الآخر من الكون كان الثوار يضعون خطة محكمة لتحطيم تلك الخرافة التي لم يكن لها في يوم من الأيام أصل من الصحة.

الأسطورة تقول أن الأعور أوتي من العبقرية والقوة ما يكفي لتشريد مليون إنسان في الأزقة دون هدف، وإنه قادر على هدم عشرة آلاف بيت فوق رؤوس السكان النائمين والمستيقظين، وأنه يوقف بعينه الباقية جيوشاً جرارة فيحيل حديدها إلى رماد.

ويصدق أطفال زرق العيون الحكاية، فيضعون توقيع الأعور في صدر ألبوماتهم وتحتفظ بنات شقر الشعور بصورته وكأنه شاعر يغني للجنس الصريح، ويوزع صحافي يقبل الهدايا الكبيرة حكاياه على القراء بشكل متسلسل يشد إليه الذين لا يبحثون عن الحقيقة وراء الأحداث.

وأن الـذي حـدث ذات يـوم ليشـبه الصـدفة ولم يكـن بصـدفة، فالأسـطورة ليسـت أسـطورة والأعـور لـيس بطـلاً، والثـوار الـذين كمنـوا عنـد منعطـف طريـق كـانوا يعـدون الـديناميت لا التعويـذات، ويحكمـون الخطـة لا الـوهم. الثـوار وكـانوا سـتة، ثلاثـة مـنهم فتيـان صـغار خرجـوا لأول مـرة في تنفيـذ عمليـة. الثـوار هـم الـذين فجـروا عبـوة صـغيرة صـنعت بأيـديهم العاريـة فأطاحـت بسـيارة العسـكري الأعـور وقتـل السائق وتناثرت رأس المساعد وطار الأعور في الهواء ليقـع على الأرض مكسور العمود الفقري مفزوع العينين. كل هذا حدث في الوقت الـذي كـان فيـه تلفزيون دولـة متمدنـة يبـث برنامجاً ملونـاً تشـيع فيـه المعجـزات الـتي يقـوم بهـا العسـكري الأعـور، وكيف أن سيلاً من الصواريخ يتساقط عليه فيصده بذراعيه وكيف أن أنامله الساحرة تبيد قوافل البدو وكيف أن.....

المستحيل

استطاعت فرقة إسرائيلية أن تأسر الفدائي "أبو الموت" بعد مطاردة قاسية دامت يومين وقع الفدائي بعدها على الأرض منهكاً، بعد أن ضلل مطارديه فأبعدهم عن جماعته التي عادت إلى موقعها آمنة.

ولم يقاوم أبو الموت الإجراءات التي توقع أن يفعلها الأعداء فاستسلم لها تعلو وجهه ابتسامة تصميم رائعة. جردوه من البندقية والخنجر الحاد، وأوثقوه إلى عمود فقال لهم بسخرية:

ـ يبدو أنكم ستمثلون لعبة الحرق الهندية!

فصاح أحد الجنود:

ـ أنتم أطفال عنيدون، ونحن نعرف كيف نفك عقال ألسنتكم.

وجاءت الفدائي ضربة على الخاصرة أشاعت في جسده الألم الذي لا يطاق.

وقال الضابط الأزرق العينين بثقة بالغة:

ـ ستقول لنا الآن أين تختبئ فلولكم؟

ثم نزف الدم من أنف الأسير بعد ضربة خاطفة من اليد الناعمة الملمس، إلا أنه استجمع قواه وبصق في وجه الضابط. ثارت حفيظة الجنود إلا أن رئيسهم أشار إليهم أن يبتعدوا، وقد دفعه التحدي إلى مزيد من التفكير فقال بهدوء بارد:

ـ ألا تريد أن تعيش أيها الفتى؟ ألا ترى أنك ما زلت صغيراً على الموت؟

ـ شيء غير مهم!

ـ أليس لك أم تبكيك؟

ـ ذبحت بحرابكم وكذلك أبي، وأخي شوه بالنابالم.

ـ لك حبيبة إذن؟

ـ بلى.

ـ حسناً فقد تقدمنا، ألا يهمها موتك؟

ـ نعم ولا...

فصاح الضابط بغضب جارف:

ـ ما هذه الحبيبة التي لا يهمها موتك؟

فضحك الفدائي ولم يجب بكلمة. آنذاك صاح الضابط:

ـ إذا أردت أن نرسل لها أشياءك بعد موتك قل لنا من هي.

فقال أبو الموت فيما يبصق دماً:

ـ أصحيح أنك تفعل؟

ـ بشرفي إذا قلت لي من هي، أرسل لها أشياءك.

فهتف الفدائي بشاعرية أدمت عيونهم:

ـ فلسطين هي الحبيبة أيها الأغبياء.

فانقضوا عليه يبقرون بطنه بالحراب.

السعادة

زاد اهتمامي في الأيام الأخيرة بالإعلانات الكثيرة الملصوقة على جدران المدينة. كنت أتأمل الصور بحزن ثم أقرأ الإعلان بتمعن: شاب جديد يموت في الأرض المحتلة.

كأن الشهداء ما عادوا يرتضون قبوراً لهم سوى أرضهم نفسها. وكان الأسى يحز في فؤادي على تلك الزهرات التي تتهاوى في أحضان الموت يوماً بعد يوم، وكنت رغم جهلي بهم من قبل أنفذ إلى عيونهم المتألقة أحدثهم، أقول لهم: أحبكم.

ذات يوم، كان الشهيد الذي علقت صورته على جدران شارع هادئ مألوفاً لدي إلى حد لا يوصف. توقفت طويلاً أتفحص تفاصيل الوجه والدهشة ترتسم على وجهي وتستفحل في الأعماق، وتساؤلات شتى ما لبثت أن غاصت ثم طفت ثم ما لبثت أن غاصت في الأعماق. وحين تمعنت تفاصيل بلاغ النعي توقفت الدهشة وغرقت التساؤلات، فالبلاغ يقول أني أنا

استشـهدت في عمليـة كـبيرة شـنها الفـدائيون علـى عاصـمة الأعداء، آنذاك لم يعد للأسى مكان في القلب أو العينين، بل شـاع في وجـودي ارتيـاح لا حـدود لـه، وأحسسـت بمتعـة لا توصف، وانطلقت في الشارع الهادئ أغني وأغني..

الأسطورة

كان الرجل الأعور قاسياً، وقد زاد في قسوته أنه رقي إلى رتبة عسكرية كبيرة بعد ذبحه لأطفال قرية مسالمة وقتل شيوخها بأسلوب مبتكر.

إلا أن الرجل مع كل ذلك أوتي موهبة وقوة في الرسم لا حدود لهما، جعلته مرهوب الجانب، وساعدته في القضاء على خصومه متى يشاء. كان إذا أراد أن يتسلى بالقضاء على أحد رسم صورته بدقة ماهرة في الوضع الذي يستمتع بأن يراه فيه، وما أن ينتهي من عمله حتى تقع الضحية في القدر الذي رسم لها وتموت. وكان إذا أراد أن يضحك مروحاً عن نفسه، رسم كلباً شرساً يعض رجلاً معيناً، فما يلبث ذلك الرجل أن يقفز في الهواء حيثما كان صارخاً من الألم الذي لا يطاق.

وعندما استطاعت قوات ذلك الرجل أن تستوطن بلاداً ليست لها. قام الثوار من أهل البلاد المقهورة بالمقاومة، فأصبحت هواية الرجل جمع ما يمكن له من صور الثوار

لرسمها في المواقف التي يريدها، وهكذا استطاع الرجل الأعور أن يقتل كثيراً من الثوار بطرق متفننة مضيفاً إلى انتصاراته السابقة أمجاداً أكثر.

ثم اهتدى الأعور إلى طريقة جديدة عندما استطاع رسله أن يعثروا ذات مرة على صورة جماعية لفريق كبير من الثوار، فاستطاع آنذاك أن يرسم خصومه من رجال المقاومة في قفص حديدي قرب مقره العسكري، فما لبث أولئك الرجال أن وجدوا أنفسهم فجأة في قفص كبير تحيط بهم أعداد هائلة من الجنود المدججين بالسلاح.

وكانت مجزرة آنذاك. وقف الأعور على شرفة قصره يتفنن في قتل أسراه فرداً فرداً كل بطريقة خاصة. كان يرسم سكيناً تجز عنقاً فيسقط رأس ثائر، أو كان يرسم عقرباً تنقض على قلب آخر فيهوي ثائر يتلوى من السم الزعاف الذي سرى في جسده.

واستطاع واحد من رجال المقاومة، وكان بين المشاهدين، أن يكتشف سر المجزرة، فطار إلى جماعته يخبرهم بتفاصيل الحكاية كلها. أذهلتهم الحقيقة ولكنهم ما لبثوا أن عكفوا على الموضوع يتدارسونه ويقلبون وجوهه

بحثاً عن حل، وكان ثمة شاب قد ترك مدرسة الفنون الجميلة ليلحق بالثوار قد عرض على رفاقه أن يقوم خلال فترة طويلة بالتدريب على الرسم حتى الإعجاز فأصابت فكرته الموافقة.

وعكف الشاب سنين طويلة على التدريب، بالجهد والصبر والمعاناة استطاع أن يحاكي آلة التصوير، وفي أيامه الأخيرة تفوق عليها وعلى نفسه.

وفي ليلة من ليالي الثورة الهادئة جعل الشاب ينهي رسم الأعور بدقة لا مثيل لها، ثم إذا هو يرسم قفصاً حديدياً يحيط بالأسير وجد الثوار أنفسهم أمام العسكري يقفز وراء القضبان مرغياً ومزبداً ويصرخ كالمجنون منادياً حراسه الذين لم يكونوا معه.

هتف الثوار يحثون الشاب أن يتفنن في رسم قتلة بشعة تلائم الجرائم التي قام بها الأعور من قبل، لكن قائدهم تقدم من القفص بهدوء متأملاً انفعالات أسيره الذي أفقدته القضبان عقله، وقال:

ـ دعوه حياً ولنكتب على قفصه "نموذج لحيوان بشري احتفظ به ليراه أهل الدنيا كلها".

فلاقت الفكرة قبولاً من الثوار فمضوا يتابعون كفاحهم.

الخنساء الجديدة

كان لا بد للصمت أن يرفرف بقسوة على الغرفة العارية، والرجال كانوا صامتين أيضاً. قال رجل بترت ذراعه منذ زمن قريب:

ـ أفضل أن أفقد الثانية عن أن أبلغ الست زهرة.

وقال قائد الجماعة:

ـ لنخترع أية حكاية إلا أن نقول لها عن استشهاد ولدها الأخير.

ـ مسكينة، فقدت زوجها وثلاثة أولاد، وها هو الرابع.

ـ لنقل أنه أُسِرَ.

صاح رجل من خلف الندوب المتجمعة على وجهه:

ـ تباً لهذه الحرب.. تباً لهم...

فلم يجب أحد بكلمة. بعد قليل استوى أحد الرجال واقفاً ليتوجه إلى بيت الأرملة العجوز ببطء لا حدود له. ثم عندما غالب الدموع واستجمع الشجاعة قرب باب الكوخ، قرع الخشب بعظام كفه المتيبسة:

ـ ست زهرة.

ـ تفضل يا بني.

ـ ست زهرة... الصغير لن يعود اليوم.

قالت المرأة بقلق:

ـ ومتى يعود؟

ـ ذهب ليطمئن على والده وأخوته.

زاغت عينا العجوز، وتناثر الحزن على شفتيها وكل وجهها. قالت بعد لحظات صمت موجعة:

ـ المسافة طويلة، لو أنه أخذ معطف الصوف معه!

قال الرجل يحتضن كفي العجوز يقبلهما فيما يتمتم:

ـ سامحه الله، فقد نسي يا أمي، الأعمال كثيرة كما تعلمين و....

الاختبار

تقرر في اجتماع ليلي خاطف أن ينسف الثوار فندقاً في القدس، الفندق يعج بضباط الأعداء، والمهمة انتحارية.

رفع رجل في الأربعين إصبعه، وقال:

ـ اذهب أنا، إذا مت فسيبقى ابني للبيت.

وصاح فتى صغير:

ـ لم أشترك بعد في معركة حقيقية، أعطوني فرصة..

أما الفتى الآخر، فقال:

ـ ذبح اليهود أبي في دير ياسين، وأريد هذه الفرصة.

وأعترض الحديث رجل وسيم، قال في تصميم:

ـ لقد عشت حياة مليئة وكسبت مالاً كثيراً وأريد أن أبدأ من جديد، أريد أن أمنح هذا الشرف.

قال شاب طالما يغلب عليه الصمت:

ـ وهل تريد أن تنافسنا على هذه المعركة، لقد وعدتموني بفرصة، وها هي ذي فرصتي..

وأطرق القائد برأسه يفكر، لكنه ما لبث أن تطلع في الوجوه المستطلعة يتفحصها:

ـ أقول لكم الحق، لقد خاب ظني بكم. كل يريد نفسه وتلك هي العلة، أنسيتم أن حياتنا غالية وأننا يجب ألا نموت بكثرة، فالقضية لم تنته بعد.

صاح بعد قليل وقد بدت القسوة في عينيه:

ـ من منكم يستطيع تنفيذ المهمة كاملة ثم يعود إلينا سالماً؟

فرفع جميع الحاضرين أيديهم.

الغيرة

كانت المدينة مكفهرة، ولم يكن يسمع في الجو سوى سيل متقطع من الرصاص يطلقه رجال ملثمون من بنادقهم فيما يحيطون بعدد كبير من النعوش الملفوفة بالأعلام وزهر اللبن.

الرجال مطرقون والنساء لا تبكين، كأنما الموتى ليسوا بالموتى، ولم يكن يخيم على المدينة سوى القلق، فالشهداء كثيرون ويخصون ناساً كثيرين.

لم يكن هناك حديث يقال، الأمهات يعتصرن الحناجر بالصبر، والنساء الصغيرات يعضضن على الشالات التي تمزقت.

كانت المدينة شجاعة كأسطورة حين انطلقت امرأة في الخمسين تصرخ باكية وتتطلق بين الجموع المتراصة كتراب الأرض. كانت تبكي وتنشج وتمزق شعرها الذي ابيض

معظمـه. لم يمنعهـا أحـد مـن الرجـال، ولم يزجرهـا المتـألمون بصمت، كان الجميع يعلم أن المرأة وحيدة وليس لها ولد..

قال عجوز مهدم يقف على شرفة الحزن:

ـ أعانها الله، ليس لها أحد تبكيه.

تأبين

رغم التوقعات الأكيدة بأن هجوماً كبيراً قد تشنه قوات العدو، فقد اجتمع الثوار في أحد مقرات القيادة يشتركون في تأبين "سليم اليافاوي" الذي اشتهر باسمه الحركي "الدبور"، لأنه طالما قرص جنود الأعداء بقسوة وطار عائداً إلى مقره.

إلا أنه في ذلك الصباح البارد تسلق دبابة كانت تحاصر فريقه مضيقة الخناق عليه، ثم فتح الغطاء الحديدي ليضع قنبلة يدوية أطاحت بطاقم الدبابة وبنفسه ورغم الخطورة البالغة فقد استطاع الثوار إحضار بقايا جثته.

وفي الليل الذي يحبل بالمفاجآت، وقفوا جميعاً على أقدامهم الثابتة أكثر من الدقيقة التي يقضوها عادة حداداً على أرواح رفاقهم، فقد دخلت فجأة أم سليم اليافاوي مكان الاحتفال بوقار لا مثيل له فجعلتهم ينسون أنهم يستطيعون الجلوس أبداً.

قالت المرأة للقائد تعزيه وعيناها تلعقان صورة الشهيد:

ـ كان ابنكم أيضاً.

ثم انتهى الاحتفال.

زمن الهجرات القصيرة

قد لا تثير حياة المدعو عبد السلام السلطي اهتمام أحد، وخصوصاً كتاب القصص والروايات الباحثين عن التفصيلات المثيرة في سيرة أبطالهم، فالمدعو عبد السلام هاجر ثلاث مرات من مكانه الثابت خلال عشرين سنة. المرة الأولى من بستان البردقال اليافاوي حيث تصفر الثمار بالشمس الحنونة وريح البحر الرقيقة، فقد وجد نفسه فجأة لا يملك البستان الذي أتقن فلاحته وأحب أشجاره، وصرخ محتجاً فأبرزوا له ملكية الأرض التي ما عادت له فصمت حزناً.

وفي المرة الثانية عندما دق النفير وصاحت الأبواق "اهربوا بجلدكم قبل أن يسلخ اليهود جلدكم"، ووجد نفسه في طابور طويل من الهاربين يقود أطفاله وامرأته عبر مسيرة لا نهاية لها، وكان يقول لجاره "رحلة مؤقتة، سنعود أليس كذلك؟" فلا يلقى جواباً.

وفي المرة الثالثة وكانت المضافة تضيق يوماً بعد يوم بالقادمين وأشباح المرضى والذين يموتون، فقرر أن يلجأ إلى مدرسة يعمل آذناً فيها، وأن يعمل أولاده في المعامل، فاستطاعوا بعد أشهر أن يتباهوا بأنهم يأكلون جيداً.

وهذه الهجرات المتكررة في فترة زمنية قصيرة كالعشرين سنة التي مرت على أسرة عبد السلام السلطي لا تخلف عادة كثيراً من التفاصيل، فأسرته تبدلت بهدوء لا يلحظ، المرأة ابيض شعرها وتغيرت لهجتها الفلسطينية التي طعمتها بعض الاصطلاحات الحلبية المشهورة، وأطفاله الأربعة نمت أجسادهم فأصبحوا رجالاً، تزوج ثلاثة منهم وأنجبوا أولادا، وعبد السلام نفسه تورمت ركبته اليمنى وأصبح يشرب أدوية الروماتيزم بانتظام. وكانوا يعيشون في بيت واحد فلم يتغير الحال، فالحركة في البيت زادت رغم الهدوء الذي أصبح قاطناً، فالأولاد الأربعة يغيبون عن البيت أسابيع وشهوراً ثم يعودون منهكين، ولا يغسل التعب آنذاك سوى التئام الشمل من جديد والحكايا التي تجمعهم خلال اليومين أو الثلاثة التي يقضونها مع الأبوين والأطفال، والتي سرعان ما تنتهي ليعودوا إلى الغياب من جديد.

صرخ عبد السلام ذات مرة بالأولاد:

ـ وماذا أنتم تفعلون كل مرة؟!

قال جيفارا وهو الاسم الحركي للولد البكر خالد:

ـ نقاتل.. نقاتل يا أبي ونعود.

وتطلع فيهم بقسوة وصرخ من جديد:

ـ تقاتلون كالنساء من وراء النوافذ!

ـ بل ندخل إلى أرضنا التي ستعود. في الليل والنهار ندخل ونقتل وندمر، نحن نحارب يا أبي ألا ترى..

ـ لا أرى شيئاً..

ثم هتف عبد السلام السلطي بتصميم:

ـ لقد هاجرنا ثلاث مرات وأريد الرابعة.

ـ وإلى أين يا أبي؟

ـ إلى الجنة أيها الضعفاء.

فأطرق الأولاد خجلاً.

الذي يموت والذي لا

أخبر قائد الجماعة 341 القيادة العامة للفدائيين بأن خيانة قد وقعت بين صفوف رجالهم. ومثل "الزيبق" أمام المحكمة جامد النظرات لا يرتعش له عضو.

قال قائد جماعته:

ـ لقد رفض الزيبق أن ينفذ المهمة التي أوكلت إليه صباح الأمس، ونجم عن ذلك فشل العمل الذي كان على الجماعة أن تقوم به.

وتساءل رئيس المحكمة بهدوء:

ـ وما هو العمل الذي فشل؟

قال قائد الجماعة:

ـ كان من المقرر أن ينسف منزل الحاكم العسكري الصهيوني في نابلس، وقد كلف الزيبق بوضع العبوة في المنزل...

صاح القاضي في وجه المتهم:

ـ هل أنت مذنب؟

أطرق الزيبق برأسه وقال باقرار هادئ:

ـ نعم.

فتطلع أفراد هيئة المحكمة في وجوه بعضهم البعض، ولاحت في أعينهم سحائب الحيرة.

قال أحدهم بعد قليل:

ـ أن الزيبق فعل أشياء كثيرة وعظيمة من أجل الثورة.

أما آخر فقال:

ـ ولكنه مذنب، ولقد اعترف بالتهمة.

بعد لحظات قال رئيس المحكمة بلهفة وكأنه وضع يده على حل:

ـ ولكنه لم يحدثنا أحد حتى هذه اللحظات لِمَ لمْ ينفذ الزيبق مهمته؟!

قال قائد الجماعة:

ـ لم يقدم المتهم بعد تعليلاً لذلك.

قال الزيبق:

ـ رأيت داخل غرفة فيما كنت أتسلل إلى بيت الحاكم العسكري طفلة يهودية صغيرة تلعب بالدمى، فقررت ألا...

آنذاك أطرق الجميع برؤوسهم والصمت يخيم فيما عدا صوت رئيس المحكمة يعلن بهدوء متعب:

ـ ليعد الزيبق إلى عمله. انتهت الجلسة.

قصة الرجل الذي أحب الثورة

قرر المهندس (دي بوا)، وهو مواطن فرنسي قلق، أن يحارب مع الثوار الفلسطينيين، فكتب رسالة مطولة يشرح مشاعره التي يحسها تجاه الذين سلبت أرضهم، ولكنه لم يستطع أن يرسلها لجهله عنوان من يكتب إليهم، فاحتفظ بالرسالة بين الأوسمة التي استحقها في الحرب العالمية الثانية.

ذات يوم قدم استقالته من مكتبه الهندسي وودع السيدة العجوز التي يقطن عندها وحيداً، وحمل حقيبة صغيرة، ومضى إلى البحر. حزن لفراقه أطفال الحي الذين كانوا يتقبلون هداياه المستمرة بفرح، وكان هو يفكر بهم أيضاً فيما كانت السفينة تشق طريقها نحو هدفه.

قتل النازيون أخته قطعة قطعة، بدءاً من القدمين ومروراً بالعذرية، وانتهاء بالشعر الأشقر الذي اختلط بالدم فالتصق بالجمجمة. وارتسمت الصور أمامه، وتشابكت ثم تناثرت، كأنها لعبة الورق. هتف من أعماقه:

ـ تباً للتعسف!

وفي بيروت وعده صديق دراسة قديم أن يقدمه إلى رجال يستطيعون إدخاله إلى الأرض المحتلة. لم يكن (دي بوا) متديناً، ولكنه كان يتوق لزيارة القدس بشوق لا يوصف، وعندما سأل الرجل الذي يقوده عبر المسالك الوعرة إلى مراكز الثوار:

ـ متى نزور القدس؟

قال له الرجل بحزن شديد:

ـ لا أعتقد أن ذلك ميسورا لنا بصورة صريحة.

ثم أعقب بأمل وضاح:

ـ في الوقت الحالي على أقل تقدير.

وانحدر من الجبل الوعر إلى السهل المحمي بالرجال والتلال اليقظة، وفيما كان الشاي يقدم إليه سأله القائد:

ـ سيد دي دبوا، لم تريد أن تنضم إلينا؟

ـ أريد أن أشارككم نضالكم.

ـ ولم تريد أن تشاركنا النضال؟

ـ لأنكم على حق.

ـ ليس هذا رأي العالم!

ـ العالم مخطئ.

العالم مخطئ ومدنس، وميزان العدل انكسر ساعة صنعه. صاح دي بوا:

ـ هل استطيع أن أحارب معكم؟

ـ سنرى إن كان ذلك ممكناً!

بعد أيام سرت همهمة بين الثوار أن القيادة تستضيف جاسوساً، فرصدت حركات دي بوا وحاصرته الأعين خلسة، وبعد أسبوع من بقائه بين العمل في الغرفة الصغيرة ومراقبة الحدود الواسعة بتعمق، قدم للرجال صندوقاً صغيراً، تناوله القائد بحذر فيما يتساءل:

ـ وما الذي يحتويه هذا الصندوق؟

ـ جربوه في نسف المدرعات، فهو دواء ناجع.

وفي اليوم التالي تعطلت سيارة مصفحة للأعداء بفعل دي بوا فتقرر أن يعمل الضيف في إحدى المجموعات المحاربة مكافأة له على عمله، إلا أن الحذر ظل قائماً في نفوس جميع الثوار.

"أريد أن أفعل شيئاً للقدس" هذا ما قاله دي بوا في عمليته الأولى لقائد المجموعة الصغيرة، فيما يتوجهون في الظلام عبر أشجار الزيتون نحو هدف لم يفصح عنه بعد.

وخلال المسيرة الطويلة لم ينطق الفرنسي بكلمة.

همس لقائد المجموعة الذي قطع دراسته كطبيب في بلجيكا وعاد إلى الثورة:

ـ هل تعلم أننا قاتلنا النازيين بعد أن أعلمونا أنهم يبيدون اليهود. أنني أرى أن اليهود لم يمسسهم شر.

بعد لحظات قال فيما يمضغ لقمة خبز:

ـ أرى أن الشر هم الذين يبدعونه.

فلم يجب القائد بكلمة، إلا أن دي بوا أمسك بذراعه فجأة وقال بصوت خفيض:

ـ أشم رائحة دورية معادية.

فانبطح الجميع على الأرض، وما هي إلا دقائق حتى عبر الطريق الترابي جنود العدو الذين ظلوا يمرون لمدة طويلة.

ذات يوم قال الفرنسي للرجال:

ـ إذا مت فادفنوني في القدس أو في إحدى التلال المحيطة بها.

فابتسم الثوار وأحاطه بعضهم بحنان كبير. وقال من جديد.

ـ كما أريد أن يلفني علمان، الذي يخصكم والعلم الفرنسي.

فابتسم الثوار أيضاً بمحبة، وظل الحب فيما بينهم ينمو وينمو، والحرب تشتد والقتلى يتكاثرون إلى أن جاء ذلك اليوم الذي خرج فيه جميع الثوار دونما تحفظ يلبون وصية دي بوا وكأنها إحدى الأوامر التي لا يمكن لها أن ترفض وظلوا مطرقين حزناً إلى أن ابتدأت عملية جديدة.

الخروج

عندما خرج (ولساك) من بولونيا، كان يتطلع نحو الشرق برهبة ممزوجة بالأمل والتصوف وقد حفظ خلال انتظاره للهجرة كل الشعارات والتعاليم التي أعطوه إياها، وتعلق قلبه بأرض الميعاد الرائعة.

لقد أتقن ولساك مهنته كمهندس زراعي عندما حدثوه عن جنة عدن حيث سيقيم في المستعمرات اليهودية. وبقدر ما كان البولوني متديناً كان طموحاً إلى حياة الانفتاح التي صورت له في أرض الميعاد، وفضل آنذاك أن يختار لنفسه امرأة من الوطن الجديد، فزاده الانتظار شوقاً لا حدود له.

وعندما وصل البولوني إلى المستعمرة كان عمره قد تجاوز الأربعين، فتزوج صبية ألمانية، وتطلع حواليه فوجد أن البندقية تشاركه سريره وطعامه وعمله، والخوف يسور المستعمرة، والفدائي كائن يخرج في الظلام فيثير الذعر.

وقدر للرجل أن يشترك في معارك الأيام الستة، وقاتل بذعر مستميت فنال من حاكم المنطقة العسكرية كل الأوسمة.

كان يهتف لنفسه دوماً:

ـ أريد أن أستريح!

وعندما شاهد زوجته صدفة ذات مرة تضاجع الحاكم العسكري صاح بيأس:

ـ ولكن لم فعلت ذلك يا امرأة؟

فقال الصبية:

ـ نحن نكافئ المنتصرين.

كان يطلق النار من نافذة غرفته كلما سمع صوتاً أو حركة ويصيح بهستريا:

ـ الفدائيون... الفدائيون.

صاح في الأشجار العارية ذات مرة:

ـ أريد أن أعود

فلم تجبه واحدة بكلمة. وجلس ذات ليلة يكتب رسالة إلى أقاربه في بولونيا "أريد أن أعود، أن أخرج من هذه الأرض

الملعونة. بولونيا يا بولونيا، استقبليني فقد اشتقت إليك. الفدائيون يخرجون في الليل كالطلاسم، والنساء يكافئن العساكر بسخاء لا يوصف. ملعون أنا لو بقيت هنا لحظة واحدة...".

وسقطت الرسالة في يد زوجته، فانتقلت إلى يد الحاكم العسكري، فاستدعى البولوني للتحقيق. صاح "أريد أن أعود"، قالوا له "أنت مريض" فصرخ "أريد أن أخرج من هذا المكان المدنس".

- لن تخرج.

- أريد أن أعود.

- أنت مريض.

- أريد أن أخرج من هذا المكان المدنس.

وذات يوم وجدت جثته على حافة قناة جارية، بعد ذلك كتب الطبيب الشرعي تقريره قائلاً: إن سبب الموت كانت طعنة فدائي من الخلف، فلم يناقش التقرير أحد.

كونشرتو

هبت رياح الزيتون الجبلية. الأرض خجلى لذاك تشققت بعد أمطار ثقيلة. كانت خطوات جنود الاحتلال تزيد من الخجل. مطر خجل.. مطر خجل، خجل خجل.

في الصمت يسري النعي دون خجل فالذين يموتون لا يخجلون، والذين يشيعون كانوا بالموت يفخرون، ولما عبرت الشارع القديم النعوش السبعة، وقفت الأم عائشة منتصبة القامة على شرفتها التي هجرتها حمامات المنزل باتجاه الموت بعد أن أصابتها قذائف الاحتلال المجنونة. كانت الأم عائشة تعرف الذين حملوا على الأعناق واحداً واحداً، الديب وكمال وجيفارا... الصديق والثعلب والسريع وأحمد، تعرفهم منذ أن ولدوا على سفوح الجبال، في القرى والمدن والسهول، حملتهم بعينيها وضمتهم ورفاقهم إلى قلبها... عصرتهم عصرتهم.

ماتوا! الآن فقط نمت أجنحتهم وطاروا في السماء بعيداً عن عيون الجنود الإسرائيليين التي أحاطت بالنعوش والمشيعين ترقب الحزن المرعب يحوم على القدس الصامتة كعلامة شؤم قاسية، صاحت النساء فارتعش قلب الجنود.

غاصت عيون الأم عائشة بدموع حجرية فارتدت إلى الداخل تمزق تتمزق.. تمزق تتمزق.

ماتوا؟ "ولد... ولد"، صاحت الأم عائشة تنادي ابنها الذي اختبأ في الغرفة الداخلية. صاحت من جديد فأطل الابن بوجهه الطويل. كانت نظراته الضائعة تطوقان عينيه. قالت الأم عائشة:

ـ ولد أين كنت؟

ـ اختبئ.

ـ تخاف من الموت؟

ـ أخاف.

ـ اثنان وعشرون عاماً ونخاف؟

لم يجب الابن بكلمة، جعل يعد أصابعه بتعمّق عميق.

صرخت الأم عائشة، غضبت، لعنت ابنها، لعنت أباه.

انفجرت في البكاء.. انفجرت، ظلت تنفجر.. انفجرت..

أطلت الأم عائشة من الشرفة، وكان الشارع قديماً كما كان، أما الذين مروا محمولين أو ماشين فما عادوا هناك، لحقت آثارهم بعيونها المنتشرة عبر المداخل العريضة والضيقة فلم تجد لهم أثراً. الذين مروا منذ لحظات لن يمروا من جديد والذين ماتوا لن يعودوا إلى الحياة، والذين ما زالوا على قيد الحياة، الموت مقدر عليهم ما دامت الأرض خجلى وما دامت جنود الاحتلال تجرح تراب القدس، تجرح تجرح... قدس قدس.

تدثرت الأم عائشة بالشال الأسود ومضت إلى جارهم سيد نعمان الدكاني، رحب بها الرجل منذ أن رآها تقطع الطريق بخطواتها المتزنة وأفرد لها كرسيه الخاص فيما يملأ جو الدكان بالترحيب المتهدج وكأن السيدة تزوره للمرة الأولى، أمر لها بالشاي ثم التفت إليها بهمس:

ـ يا عيني الشباب ماتوا حصداً، ورود قطفت قبل أوانها.

قالت الأم عائشة بصوت ثابت:

ـ هوذا أوان الموت يا سيد نعمان، هوذا أوان الموت.

همس السيد نعمان بهلع صامت:

ـ ظلت جثثهم في البراد أسبوعاً.

ظل صوت الأم عائشة ثابتاً:

ـ يخافون الأموات كما يخافون الأحياء، سيظل الخوف يهد الأعداء حتى يخرجوا من بلادنا.

ثم انتقلت إلى عيني السيد نعمان المفزوعتين، هتفت فيهما:

ـ الشباب وحدهم يموتون، والعجائز والخائنون والهاربون يبقون أحياء.

وهربت عينا الرجل نحو رفوف الدكان التي كادت أن تخلو من الأشياء.

قالت الأم عائشة بعد قليل:

ـ رأيت ساعي البريد صباحاً يسلمك الرسائل.

ـ ليس فيها رسالة من زوجك.

قالت الأم عائشة تطرق برأسها:

ـ ذلك المسافر جلال لن يكتب ولن يأتي.

ـ يسعى في ملكوت الله من أجل رزق العيال.

ـ أي رزق والناس هنا يموتون؟

ودخل الدكان طفل في العاشرة اتسخ وجهه من بكاء سابق وانكب على يدي الأم عائشة يذيب قطع البكاء المتجمدة على خدوده، فمسحت رأسه بالحنان الذي انفجر من بين أصابعها بغزارة.

ـ ابن كمال الذي مر من هنا محمولا... قالت للسيد نعمان ومن ثم تابعت حنانها المتفجر شلالاً جرف بكاء الطفل حتى هدأ. وكان الحنان ما يزال يفيض والهدوء يتمدد كجلد قطة تتمطى حين ارتجت أرض المدينة بانفجار أرضي أربد له وجه القدس المتغضن، وفزع الطفل فانطلق خارجاً، وغاض الحنان في كف الأم عائشة التي أطلت بوجودها كله تستطلع الخطر الذي انتشر بغتة. صرخ السيد نعمان:

ـ لابد أنه آت من سوق الخضار.

هتفت الأم عائشة:

ـ لابد أنه آت، وقد أتى، الآتي قد أتى، الذين ماتوا قد عادوا.

وانطلقت في الشارع تشق الطريق بفرح هائل هائل، كأن الذين ماتوا قد عادوا، هم يعودون.

كانت الجثث التي تطايرت في هواء الحي المختنق قد سقطت بين أشلاء الأخشاب والحديد وبقايا البيوت والدكاكين، وتعفنت سلال الخضار والفاكهة بغتة، وتسرطن الهلع في كل القلوب فانتشر الناس كأرانب الصيد الملاحقة يتلمسون النجاة التي بدت في الدقائق الأولى للانفجار مستحيلة، والتي أصبحت بعد انتشار الحريق الذي هيجته رياح الجبال الجافة ضرورة. كان للقدس هيئة امرأة عجوز أعادها الذعر صبية فانطلقت تزغرد بجنون. الغرباء عن الأرض صرخوا خوفاً وأهل الأرض تمسكوا بالأرض خوفاً والذين فجروا الغضب اختفوا في الزحمة كشياطين ذكية، وأطل الليل على القدس الحبلى بالترقب، خوف خوف، ليل خوف خوف ليل.

توقفت الأم عائشة عن شغل الصوف، تطلعت في ابنها القابع تحت خيمة السكون، سبرت غور هدوئه المذعور. لماذا تحبه كل هذا الحب؟ وحيدان منذ سنين في هذا البيت والمسافر جلال بعيد في بلاد بعيدة تربطه بالبيت حوالات بريدية شبه دورية. ما عاد المسافر جلال مقيماً في البيت ولا ابنه أحيا ذكراه، ولكنها تحبه رغم سكون عينيه.

وعندما يسكن الليل أيها المسافر جلال، لا اسمع أنفاساً ويشتد البرد في البيت عندما أتذكر كيف غبت عنا وعن الذين يموتون كل يوم من أجل الأرض المدنسة الآن بأقدام العسكر اليهود. قلت لهم عند العم حماد ليلة أمس أن كل غائب عن الأرض يجب أن يعود، فسكت الجميع لأنهم يعلمون أن زوجي لن يعود.

وتطلعت الأم عائشة إلى ابنها الذي ما زال ساكناً، قالت له:

ـ ما زلت خائفاً؟

ـ هم..

ـ لم أنت خائف؟

ـ صوت الرعد.

قالت الأم عائشة لنفسها:

ـ يا إلهي أي رعد؟ الانفجار أصبح رعداً! ولد، ولدتك يوم أخذوا أرضنا، تطلعت إليك تخرج عن قماطك فامتلأت بالأمل، وعندما قفزت من مهدك قفز قلبي معك أحلم بالرجال يعيدون الأرض إلينا، وحلمت وفشلت، امتلأت وحلمت وفشلت. فشلت. حلمت. امتلأت فشلت حلمت...

ولد. لا تسكت فأهل القدس كلهم يتكلمون. ولد، لا تقف ساكناً هكذا كعمود الكهرباء المطفأة فالذين يسكنون يسحقون. ولد ولد، أصرخ.. قل لا.. قل تفو.. العن هدد اضرب، قل لا قل تفو. ولد، لا تقف.. تحرك.. أيها البائس لا فائدة، يا عائشة يا بائسة لا فائدة لا فائدة، يا عائشة لا فائدة.

شعت عينا الابن المنتصب في الغرفة، كمصباح خائر التيار توقدتا باتجاه باب الدار، وقفزت الأم عائشة تستجمع الطرقات على الباب بكل حواسها. توقفت خلف الباب تسأل بتشكك، فالليل قد ابتدأ منذ زمن والتجول محظور على أهل القدس القدامى، والطارق غريب أو...

صاحت الأم عائشة بصوت ضعيف:

ـ من؟

ـ أبو النار يا أم عائشة.

جاءها الصوت متماسك الخفوت فشدت الباب إليها لتتلقف الرجل الملثم بيديها ولتقوده إلى الداخل بحرص شديد. قال أبو النار وقد أزاح اللثام عن وجهه المتعب:

ـ خبئيني يا أم عائشة فليس لنا غيرك.

هتفت بحنان فيما تتحسس يده المقروحة:

ـ بقلبي يا بني بقلبي.

ـــ الكـــلاب الآن يحيطـــون بـــالحي، وســـيأتي دورك في التفتيش.

عضت الأم عائشة على شفتها وقد غلبتها الحيرة، لكنها سألته:

ـ هل نجا الجميع بعد الانفجار؟

قال أبو النار وهو يربت خد الابن المذهول:

ـ لا أعتقد أن أحداً منا قد سقط أو اكتشف ولكن حي الخضار لم يبق منه شيء على ما أعتقد...

ـ لم يبق منه شيء يا بني، لم يبق سوى الخوف يفزعهم.

وفيما تسائل نفسها عن مكان تخفي أبا النار فيه ترامت إلى الاسماع ضجة من الشارع شلت الحركة وأيقظت التفكير.

هتفت الأم عائشة:

ـ الجنود الإسرائيليون أليس كذلك؟ هل يعرفونك، هل رأوك عن قرب؟

فقال أبو النار يستعجل موقفاً ما ينقذه:

ـ لا، إلا أنهم قد يميزون قامتي.

لمعت عينا الأم عائشة، كأن الذي يجب أن يكون قد أصبح فعلاً، قالت لابنها فيما تجره ليصبح حذاء أبي النار:

ـ القامتان متشابهتان.

ثم صاحت بحرص وأصوات الضجة في الخارج تتزايد:

ـ لا تجادلني فيما سأقوله لك، أمامنا لحظات. أعطني لثامك ومعطفك.

ثم أحاطت ابنها بيديها وقالت له برقة:

ـ ولد سنلعب الآن سوياً، خذ البس المعطف وتلثم بهذا.

فأطاع الابن أمه، ابتسمت شفتاه فقط فيما كانت الأم عائشة تلبسه المعطف وتلف اللثام حول رأسه ووجهه فتختفي الابتسامة وتبقى العينان ساكنتين. ثم قادته إلى غرفة النوم وأشارت إليه أن يختبئ تحت السرير الخشبي، مالت عليه وقد أصبح منبطحاً على الأرض كنعجة:

ـ لو بقيت ساكناً فسأعطيك أربع كعكات كبيرات.

فلم يجب الابن بكلمة. كانت أصوات الضجة تقترب متزايدة كأمواج خطرة، أشارت الأم عائشة إلى أبي النار الذي

تفجر القلق والدهشة في عينيه وقد أراد أن يحكي فألزمته الصمت وقادته من ذراعه المتشنجة بمزيج من الرفق والقبول والتردد والأقدام، من الإشفاق والصلابة، كان الرجل يتشنج بالرفض والقبول والقبول والرفض.

وحين أصبح أبو النار في القبو المهجور، جلست الأم عائشة على كرسيها تعد طعنات الصوف، وما هي إلا لحظات حتى كان الباب يضرب كعادته عند التفتيش، فقامت من على كرسيها بهدوء كبير لتفتح الباب بأناة وقد أطلت من ورائه وجوه غاضبة قاسية:

ـ الأم عائشة! أليس كذلك؟

قال ضابط فيما يتقدم عدداً من الجنود الآخرين ليصبحوا جميعاً بأسلحتهم داخل الصالة.

قالت الأم عائشة:

ـ تفتيش؟

ـ فتشنا بيوت الحي، ولابد أن أحداً اختبأ عندك!

ـ من الذي تفتشون عنه؟ ألم يعد هناك حرمة لبيوت النساء الوحيدات؟

قال الضابط بتأدب بالغ:

ـ هو مختبئ حتماً في هذا الحي المطوق الآن بحيث لن يفلت طير منه، ونحن لا نشك بك إلا أنني مضطر يا سيدتي لقلب البيت رأساً على عقب لنثبت خلو المكان من المجرمين الهاربين.

أشاحت الأم عائشة بوجهها عن الذي تكره وعادت إلى كرسيها فيما تقول لهم:

ـ فتشوا البيت ولكن أرجوكم مراعاة النظافة.

فانتشر الجنود في الغرف بينما انتصب القائد كديك وسط الصالة يسبر غور هدوء الأم عائشة التي لم يرتعش لها جفن. صاح جندي وكأنها أنشودة النصر يطلقها من جوفه.

تطلعت الأم عائشة بخوف تجاه ابنها الملثم الذي أحاط به الجنود كصيد خطر ما زالت فيه حياة.

ابتلعت الأم عائشة ريقها كأنها تطحن الزجاج ببلعومها، إلا أن عيني ابنها كانتا تبتسمان كما لم تفعلا من قبل، فأغمضت هي عينيها، آنذاك هتف الضابط:

ـ لقد وقع بين أيدينا، لا تخافي يا سيدتي فأنت غير متهمة لأنك من غير المعقول أن تبلغ السذاجة بك فتخفيه تحت سرير.

وأشار إلى جنوده أن يقودوا الملثم الذي استسلم للقيود دون ضجة. قال الضابط فيما يغادرون:

ـ يقولون أن الفدائيين شجعان، ولكني أراهم يقعون بين أيدينا كالأرانب المذعورة.

ـ مذعورة؟ يا ولدي يا كبدي، يا حبيبي يا قطتي المسكينة، يا ولدي.

وانفجرت في بكاء جارح كما لم تفعل من قبل، بكاء بكاء... شظايا بللور تتناثر في الحلق والبلعوم، والخدين والعينين.. بكاء بكاء بكاء...

المحتوى

إهداء 5
تقديم: فلك حصرية 7
المقدمة 15
الحريــة 19
قصة فلسطينية 22
الموت مرتين 24
الخرافة 26
المستحيل 28
السعادة 31
الأسطورة 33
الخنساء الجديدة 36
الاختبار 38
الغيرة 40
تأبين 42

زمن الهجرات القصيرة 44
الذي يموت والذي لا 47
قصة الرجل الذي أحب الثورة.....50
الخروج.....55
كونشرتو 58

إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
1	المقاومة مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
2	المقاومة مختارات شعرية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
3	القصة القصيرة في سورية الراحلون	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
4	علامة الشام أحمد راتب النفاخ	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
5	رفقة السلاح ... والقمر	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
6	صوت في الظلام قصص ايطالية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
7	الخرز الملون خمسة أيام في حياة نسرين حوري - رواية وثائقية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
8	الأديب - النص - الناقد / د. طه حسين ميخائيل نعيمة -فؤاد الشايب -د. محمود أمين العالم - بدر شاكر السياب	د. خالد البرادعي	د. حسن حميد	2007
9	ظاهرة (الأدب الصهيوني) / إطلالة على :(المصطلح النشأة الموضوعات)	محمد توفيق الصواف	محمد توفيق الصواف	2007
10	أبو خليل القباني رائد المسرح العربي	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
11	نازك الملائكة	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
12	الشاعر محمد الحريري مختارات	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
13	عبد الله عبد مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
14	الإصلاحيون أحمد أمين	د. حسين جمعة	د. خالد محي الدين البرادعي	2007

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
15	مختارات من أدب الأطفال	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
16	ياليل ونصوص أخرى	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
17	وداعاً يا دمشق	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
18	ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر إصدار الرابطة الثقافية النسائية في دمشق 1944م	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
19	إنصاف المرأة	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
20	أحب الشام -ناديا خوست	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
21	التراب الحزين بديع حقي	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
22	القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى- نزار قباني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
23	مختارات من نوح العندليب شفيق جبري	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
24	مختارات من أعمال الأديبة غادة السمان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
25	مختارات قصصية للأديبة قمر كيلاني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
26	مقالات دمشق - مكان وسكان وألوان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2009
27	سميح القاسم - الصورة الأخيرة في الألبوم	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
28	مقهى الباشورة -خليل السواحري	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
29	جبرا ابراهيم جبرا- عرق وقصص أخرى	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
30	محمود درويش - مختارات شعرية من دواوينه والانترنت	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
31	عائد إلى حيفا وأعمال أخرى- غسان كنفاني	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
32	عذبة رواية- صبحي فحماوي	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
33	حكاية الولد الفلسطيني 1971- أحمد دحبور	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
34	أسئلة الثقافة في القدس والمقاومة- مقالات- المتوكل طه	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2009
35	مختارات من شعر علي الجندي	د. حسين جمعة	محمد حمدان	2010
36	الجولان في القصة السورية (حضور المكان)-علي المزعل	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
37	(الامريكي) أحمد رفيق عوض	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
38	ملكوت البسطاء- رواية -خيري الذهبي	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
39	مختارات قصصية رقصة ليلة الوداع - رشاد أبو شاور	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
40	شفيق الكمالي ــ مختارات شعرية زبير سلطان قدوري	زبير سلطان قدوري	فاديا غيبور	2010
41	الأعلام الشعري في التراث العربي - أحمد سويلم	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
42	الظل الثالث وقصص أخرى مختارات قصصية - د. خليفة صالح أحواس	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
43	بريجيت ماساة تمثيلية ذات خمسة فصول-يوسف نعمة الله جد	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
44	انطوان تشيخوف دراسات ونصوص د. شاكر خصباك	د. ابراهيم الجرادي -عبد العزيز المقالح	د. ابراهيم الجرادي -عبد العزيز المقالح	2010
45	عبد الله البردوني قصائد مختارة ودراسات	د. حسين جمعة	د. ابراهيم الجرادي	2011
46	القصيدة تبحث عن نفسها (شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية الساندة)	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
47	مختارات من أدب الخيال العلمي العربي - رقم 004 بأمركم	د. طالب عمران	د. طالب عمران	2011
48	الله والغريب مختارات شعرية سلامة عبيد	فؤاد الكحل	د. ثانرزين الدين	2011
49	مایاکوفسکي غیمة في سروال	مالك صقور	د. ابراهيم الجرادي	2011
50	سليمان العيسى- اليأس : أمل يستنسخ أوصافه	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
51	محمد الفراتي ماخوذا بالوردة والسيف مختارات شعرية	د. حسين جمعة	شاهر امرير	2011
52	نزيه أبو عفش حارس الآلام	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
53	الشاعر العربي الحديث مسرحياً	د. علي جعفر العلاق	د. ابراهيم الجرادي	2011
54	حكم النبي محمد ليف تولستوي	مالك صقور	مالك صقور	2011
55	جان جاك روسو المصلح الاجتماعي - محمد عطية الأبرشي	مالك صقور	مالك صقور	2012
56	بدر شاكر السياب- منزل الأقنان	مالك صقور	مالك صقور	2012
57	حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي	د. جميل صليبا- د. كامل عياد	مالك صقور	2012
58	بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) عام 1968 مدحة عكاش-	د. حسين جمعة	مالك صقور	2012
59	ابن الرومي حياته من شعره ج1 عباس محمود العقاد	مالك صقور	مالك صقور	2012
60	ابن الرومي حياته من شعره ج2 عباس محمود العقاد	مالك صقور	مالك صقور	2012
61	كان ما كان - مبخائيل نعيمة	مالك صقور	مالك صقور	2012
62	إمرأة من برج الحمل - اعتدال رافع	ماجدة حمود	ماجدة حمود	2012
63	من النكبة إلى المقاومة والتجديد	مالك صقور	مالك صقور	2012
64	الأعاصير - الشاعر القروي رشيد سليم الخوري	د. حسين جمعة	د. ثانرزين الدين	2012

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
65	عبـــد اللطيـــف عقـــل دراســـات ومختارات	ياسين فاعور	ياسين فاعور	2012
66	حكيم الدهر أبو العلاء المعري	مالك صقور	مالك صقور	2012
67	الاصدار الأول للموقف الأدبي	مالك صقور	مالك صقور	2012
68	عبقريات العقاد (دراسة وتحليل)	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
69	الاشتراكية والأدب	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
70	رباعيات عمر الخيام	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
71	طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
72	ليس لدى الكولونيل من يكاتبه		مالك صقور	2013
73	ما الشعر العظيم؟	د. نزار بريك هنيدي	د. حسين جمعة	2013
74	الشعر بين الفنون الجميلة	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
75	الفقه والتصوف والمسائل الشرعية في الخلافة	أ. محمد راتب الحلاق	مالك صقور	2013
76	ًصالح العلي ثائراً وشاعراً	أ. د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
77	أبو القاسم الشابي شاعر الشباب والحرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
78	أنا من سلالة الصخور	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013
79	الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013
80	الأدب للشعب	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
81	مديح الظل العالي	أ. د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
82	معارك فكرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
83	واقعية بلا ضفاف	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
84	كيف تعلمت الكتابة	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
85	السيف والترس	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
86	بعث الأمة العربية ورسالتها إلى العالم	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
87	الغربال	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
88	الله	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
89	عصا الحكيم	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
90	الفارابي	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
91	الأدب الثوري عبر التاريخ	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
92	المسألة اليهودية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015
93	مذكرات مستر همفر	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2015
94	صوت أبي العلاء	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2015
95	فن الأدب (جزء 1)	مالك صقور	رضوان قضماني	2015
96	فن الأدب (جزء 2)	مالك صقور	رضوان قضماني	2015
97	الإسلام بين العلم والمدنية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015
98	حكيم الدهر أبي العلاء المعري	مالك صقور	مالك صقور	2015
99	شظايا من عمري	شاهر أحمد ناصر	مالك صقور	2015
100	لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
101	الدين والعلم والمال		مالك صقور	2015
102	غابة الحق (أفق التنوير وجماليات السرد)	نذير جعفر	د. نضال الصالح	2015
103	في الحياة والأدب	نذير جعفر	د. نضال الصالح	2015
104	إن الأدب كان مسؤولاً	مالك صقور	د. نضال الصالح	2016
105	أسرة المرّاش الأدبية في حلب	د. نضال الصالح	عيسى فتوح	2016
106	الجوهر الرجعي للصهيونية	مالك صقور	مالك صقور	2016
107	سريال وقصائد أخرى	د. نـــزار بريـــك هنيدي	د. نضال الصالح	2016
108	حضارة الطين	إسماعيل الملحم	مالك صقور	2016
109	ضرورة الفن الجزء الأول	نذير جعفر	مالك صقور	2016
110	ضرورة الفن الجزء الثاني	نذير جعفر	مالك صقور	2016
111	قادة الفكر	فلك حصرية	مالك صقور	2016
112	جرائم تركيا في سوريا والعراق والحجاز ولبنان	حكمـــت إبـــراهيم هلال	مالك صقور	2016
113	خارج الحريم	إسماعيل الملحم	مالك صقور	2016
114	عيسى عصفور (بلاغة البازلت)	ثائر زين الدين	ثائر زين الدين	2016
115	رحلة الشام لإبراهيم عبد القادر المازني	د. نـــزار بنـــي المرجة	د. نضـــــال الصالح	2017
116	(عمـلاء النفـوذ) وتفكيـك الاتحـاد السوفييتي	د. ناديا خوست	مالك صقور	2017
117	المذابح في أرمينيا	حكمـــت بـــراهيم هلال	مالك صقور	2017
118	نزاريّات...أيقونة الحب... والوطن	فلك حصرية	فلك حصرية	2017

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
119	من ديوان الجرح السوري	ثائر زين الدين	ثائر زين الدين	2017
120	الله والفقر	مالك صقور	مالك صقور	2017
121	قسطنطين زريق مفكراً ومؤرخاً	عيسى فتوح	عيسى فتوح	2017
122	جرح الوطن	محمد حديفي	محمد حديفي	2017
123	فن القصة والمقامة	نذير جعفر	مالك صقور	2017
124	فلاسفة الحكم في العصر الحديث	فلك حصرية	مالك صقور	2017
125	أشعب ملك الطفيليين	فلك حصرية	مالك صقور	2017
126	فيلسوف الفريكة	د. خلف الجراد	مالك صقور	2017
127	الخيال الشعري عند العرب	فلك حصرية	مالك صقور	2018
128	قميص الصوف وقصص اخرى	مالك صقور	فلك حصرية	2018
129	ايقونات	فلك حصرية	فلك حصرية	2018
130	الحياة في الظل	صالح سميا	صالح سميا	2018
131	سيد هارتا	فلك حصرية	مالك صقور	2018
132	وجوه الراحلين	د. بديع السيد اللحام	مالك صقور	2018
133	خصام ونقد	مالك صقور	صبحي سعيد	2018
134	أصوات شعرية من الجزيرة السورية	د. نضال الصالح	علي جمعة الكعود	2018
135	أفاعي الفردوس	حكمت إبراهيم هلال	مالك صقور	2018
136	اعترافات شبابي	فلك حصرية	مالك صقور	2018
137	فن القصة لقصيرة	فلك حصرية	مالك صقور	2018

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
138	شواعر العرب وعظمة الشاعرية	فلك حصرية	مالك صقور	2018
139	عبقرية العرب في العلم والفلسفة	بديع السيد اللحام	مالك صقور	2019
140	علمتني الحياة	فلك حصرية	مالك صقور	2019
141	البطولة في الشعر العربي	فلك حصرية	مالك صقور	2019
142	الادب في حضرة الجليل	فلك حصرية	مالك صقور	2019
143	وحيدا وسط السهب العاري	د. ناديا خوست	د. ثائر زين الدين	2019
144	نيران تحت عرش الطاووس	فلك حصرية	مالك صقور	2019
145	شعر ميسلون	صبحي سعيد قضيماتي	غسان كلاس	2019
146	الشجرة التي غرستها امي	نزار بني المرجة	نزار بني المرجة	2019
147	الاندلس في التاريخ	ا.د. علي دياب	ا.د. علي دياب	2019
148	المراة في شعر البحتري	فلك حصرية	مالك صقور	2019
149	زامر الحيّ	فلك حصرية	مالك صقور	2019
150	الوجيز في تاريخ المسرح العالمي	عبد الفتاح رواس قلعه جي	حمدي محمود موصلي	2020
151	قمم في الادب العالمي	فلك حصريه	مالك صقور	2020
152	بين الفكر التربوي والفكر القومي	صبحي سعيد	عيسى الشّماس	2020
153	الفرح ليس مهنتي	فلك حصرية	مالك صقور	2020
154	المذهب الجدلي والمذهب الوضعي	د. صلاح الدين يونس	د. صلاح الدين يونس	2020
155	احلى قصاندي	فلك حصرية	مالك صقور	2020
156	كتاب التساؤلات	سهيل الشعار	سهيل الشعار	2020